دروس الهجرة النبوية منارات في حياة المسلم

■ بقلم الدكتور رضوان محمـــد العناتي

يطيب لي ونحن نتفيء ظلال ذكرى هجرة رسولنا محمد ﷺ، أن نتزود من دروس وعبر هجرته المباركة ما ينير لنا ظلمات حياتنا في هذه الأيام، مما يخفف من ضنك حياة هذه الأيام ويجعلنا بحول الله وقوته من الأتقياء الموحدين له المستعدين للقائه حين يأتينا

❖ أولاً، الهجرة: معنى وضرورة:

يقصد بالهجرة أن يترك الإنسان بلده الأصلي إلى بلد غيره، وقد تكون قسرية (جبرية) أو اختيارية، فهذا رسولنا محمد ابن عبد الله ﷺ لم يهاجر من مكة المكرمة أحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إليه إلى المدينة المنورة إلا بعد ما:

١ . اشتد به وبصحابته الكرام أذى قريش ووضعوا خطة لقتله مع الملاحظة أنه ﷺ أقام ثلاث عشرة سنة في مكة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة.

٢ . أذن له ربه وذلك لإقامة الدولة الإسلامية حتى يكون للمسلمين كيانهم المستقل ويحققوا مقصد وجودهم وأن يسود حكم الله في الأرض وأن يدعى إلى الله ويؤمر بالمعروف وينه عن المنكر.

وعليه فلا يجوز الهجرة الاختيارية إلا للضرورة كأن يكون في بلد يمنع فيها من عبادة الله مصداقاً لقول الله تبارك

وتعالى: ﴿**إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**﴾ النساء: ٩٧، أو لا يجد عملاً يعيل به نفسه وأهله في بلده الأصلي مع بذل شتى المحاولات في ذلك مع مراعاة عدم هجرته إلى بلد قد تفتنه عن دينه فيخسر عندئذ -لا قدّر الله- دنياه وآخرته.

❖ ثانياً: الهجرة رمز للتضحية بالغالي والنفيس لإعلاء دين الله:

على كل مسلم مؤمن منا أن يعلم أننا خلقنا للآخرة التي هي دار المقر وأن هذه الدنيا هي دار ممر وبالتالي فالعاقل من يضحي بدنياه من أجل آخرته ونصرة دين الله الذي هو الأغلى والأعز **ويتضح هذا الأمر جليا من الهجرة وعلى النحو التالي:**

١ . الهجرة رمز للفداء: فهذا علي بن أبي طالب يضحي بنفسه وينام مكان رسول الله ﷺ في فراشه ليلة الهجرة وهو يعلم أنه قد يقتل، وكذلك أبو بكر الصديق يفدي رسول الله ﷺ بنفسه عندما لدغته الأفعى فلم يظهر ألمه حتى لا يوقظ رسول الله ﷺ.

٢ . الهجرة رمز للتضحية: فهذه أسماء ابنة الصديق ذات النطاقين تخرج لترسل الطعام والشراب لرسول الله ﷺ وأبيها رضي الله عنه وكذا عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه يرسل أخبار قريش ليلاً وهذا ما يعرف بالإدارة المعاصرة بالدعم اللوجستي.

❖ ثالثاً: اليقين بنصر الله وتأييده:

وتتجلى قوة إيمان الداعية بثقته بنصر الله وتأييده في أحلك الظروف فهذا رسولنا الكريم عندما اقترب المشركون من غار ثور يرد على إبي بكر رضي الله عنه القائل: "لو نظر أحدهم إلى أسفل قدميه لرآنا بقوله: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا"، وتكرر ذلك عند لحاق سراقة بن مالك المدلجي بالرسول وصاحبه فطمئن رسول الله أبا بكر بقوله أيضا: لا تحزن إن الله معنا.

فعلى كل مسلم منا أن يحرص على معية الله تبارك وتعالى في كافة شؤون حياته ويتأتى ذلك بالتقوى والإحسان مصداقاً لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿**إنّ الله**

مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ فإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا لم يكن الله معك فمن معك؟!

❖ رابعاً: الأخذ بالأسباب ضرورة مع التوكل على الله:

وحتى لا يتحول الإنسان إلى متواكل فعليه أن يجد بالأخذ بالأسباب في جميع شؤون حياته مع يقينه وتوكله على رب الأرباب ويتضح ذلك جلياً من أحداث الهجرة النبوية ومن ذلك اختفاء الرسول ﷺ وخليفته في الغار ثلاثة أيام للتخفية عن الأعداء إضافة لما قام به كل من علي وأسماء وعبد الله وحتى الراعي يأتي بالغنم يمسح الأثر.

❖ خامساً: محبة الأتباع سر من أسرار نجاح القائد:

تتضح محبة قدوتنا رسول الله ﷺ من جميع الصحابة الذين شاركوا في أحداث الهجرة ومن ذلك خروج الأنصار لاستقباله وكذلك أخذ كل واحد منهم زمام الناقة لينزل عنده، وبعدما بركت الناقة في مكان لغلامين يتيمين وأراد أن يقيم الرسول عليها مسجده، عرض الأنصار على الرسول أن يقبلها هدية إلا أنه أصر ﷺ على شراء الأرض ليعلمنا درساً ضابطاً نحتاجه في حياتنا بشأن التريث في قبول الهدايا حتى ولم تكن بسبب وجود الشخص في السلطة أو المنصب.

وإذا كان للآباء والأمهات والمعلمين والدعاة من درس وعبرة فإن مفاده: "كن - يرحمك الله- رحيماً بأتباعك واغرس محبتك في قلوبهم وابتعد عن أسلوب الأمر المباشر الفض الذي فيه غلظة يكن تأثيرك أكبر وفرص نجاحك لا بل تميزك بإذن أعلى،واجعل غضبك فقط عندما تنتهك حرمة من محارم الله".

وإنني أرى أن القوة بالمقياس الدنيوي ليست دليلاً على أن صاحبها على الحق أو أن الضعيف على البطل فهذا رسولنا محمد ﷺ وصحابته الكرام كانوا مستضعفين في مكة وقريش قوية، فهل كان مشركو قريش بقوتهم على الحق ومحمد ﷺ وصحبه على البطل؟! حاش وكلا، والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.